

ج. أوليفانت ١٨٧٩

ترجمة: سليمان الموسى

قام أوليفانت برحلاته هذه عام ١٨٧٩، وكتب مشاهداته في كتاب بعنوان "أرض جلعاد"، وعندما بلغ لورنس أوليفانت قرية (عجلون) قال:
إنها أكبر القرى التي شاهدوها في تلك النواحي ومنازلها أفضل من سواها وتحيط بها البساتين وأشجار الزيتون، ومن المحتمل أن يكون عدد سكانها خمسمئة نسمة أو أكثر، وقد لاحظ أن النساء يستعملن الوشم على وجوههن. وزار أوليفانت قلعة الربض ثم فوجئ بحضور القائممقام من إربد ومعه مفرزة من البغالة فخيّموا تحت الأشجار. ولم يلبث أن تبين أن دواعي فرض النظام هي التي جاءت بالقائممقام.



الجسر الروماني وفي الخلفية الموقع الأثري

أما شيخ سوف فقد كان يدعى حسن أفندي بركات وكان ذا طبيعة ثورية وأقوى زعيم في تلك الناحية. وقد زاد من خطورة شأنه أنه قام بثورة ضد الحكومة التركية في العام الفائت ورفض أن يدفع الضرائب المترتبة عليه وكان ناجحاً في عصيانه. ومع أن حركته لم تلبث أن خمدت إلا أن الشيخ ظل دون عقاب ولم يدفع الضرائب. ويذكر السياح الإنجليز شيخ (سوف) الذي كان يفرض عليهم مبالغ من المال كي يزودهم بالحرس والأدلاء لزيارة آثار جرش. ومع ذلك شاهد أوليفانت ذلك الشيخ يجلس مستكيناً في حضرة القائم مقام الذي أبلغه بالعزل من مجلس الإدارة ومن منصب المشيخة. وقد حدثه القائم مقام أن أحوال الأمن بدأت بالتحسن منذ تعيين مدحت باشا والياً في دمشق.



ويقول سليمان موسى في عرض كتاب أوليفانت: "أرض جلعاد" وذلك فيما يخص

مادة هذه الدراسة:

غادر أوليفانت ورفاقه (عجلون) فبلغوا قرية (سوف) وخرجوا على منزل الشيخ حيث وجدوا أخاه في استقبالهم. وقال إن عدداً من الأجانب الذين كانوا يأتون لزيارة جرش. لم يكن يزيد عن واحد أو اثنين في السنة، وأن أجور الدليل من القدس إليها كانت في أيام السلم

حوالي ٢٥٠ فرنكًا. ولكن شيخ (سوف) كان يحصل على مئة فرنك أخرى كي يسمح للزائر بزيارة الآثار، ويحصل على مبلغ آخر إذا كان السائح يرغب في المضي شمالاً لزيارة الأماكن الأخرى في مقاطعة عجلون، ويذكر أوليفانت أنه لم يدفع شيئاً من المال في سوف. يحدثنا أوليفانت عن أكثر الأراضي التي مر بها (وكان ذلك في فصل الربيع) لم تكن مزروعة، وأن المزروعات كانت تتألف بصورة رئيسة من القمح والشعير والعدس والحمص والذرة البيضاء والصفراء والبقول، وشاهد كثيراً من أشجار الزيتون والكرمة. كما شاهد أشجار التين واللوز البري، وذكر أن بعض الفلاحين يزرعون نبات (القلي) ويصدرون محصوله إلى نابلس حيث يستعمل في صناعة الصابون بدلاً من مادة الصودا.